



الله

بين الكتاب المقدس
وتاريخ الكنيسة

القمص يوسف أسعد

الله

بين الكتاب المقدس
وتاريخ الكنيسة

القمص يوسف اسعد

الكتاب المقدس في تاريخ الكنيسة : ١٩٠٠

تاريخ الكنيسة : ١٩٠٠

تاريخ الكنيسة : ١٩٠٠

٧٨٢

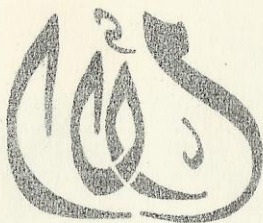
٧٨٢

تاريخ الكنيسة : ١٩٠٠

تاريخ الكنيسة : ١٩٠٠

تاريخ الكنيسة : ١٩٠٠

١٩٠٠ : ١٩٠٠



رسائل اب لتحصان زيب
تسعينات ا زيب كتم

الكتاب : الأم بين الكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة

المؤلف : القمص يوسف أسعد

الطبعة : الاولى مارس ١٩٧٠
الثانية يناير ١٩٨٧

الثالثة مايو ١٩٨٨

الناشر : مكتبة كنيسة السيدة العذراء بالعمرانية

جمع تصويرى : جى. سى. سنتر - مصر الجديدة

المطبعة : دار العالم العربى بالظاهر

رقم الإيداع : ١٩٨٨ / ٧٣٨٩



« في أمومة أمنا المحبوبة العذراء مريم ، نكرم الأمومة الحانية^٦ »

أمر في الأم بمنزلة

« الأم » لفظ يجعل النفس ترقص طرباً عند سماعه ، لأنه يحمل في طياته حب ودفء وحنان لا يستطيع أحد أن يعبر عنه إلا صاحبه . وفي ذات الوقت فهو يجعل النفس تخشع وترهب لأنها تقف أمام حجال مقدس أحاطه الله — تعالى شأنه — بكثير من الكرامة والمهابة .

[١] ففي الشريعة :

(١) يربط الله بين القداسة التي ينبغى أن يعيشها أولاده وهيبة الأم التي ينبغى أن تحاط بها من أولادها بقوله: « تكونون قديسين لأنى قدوس : الرب إلهكم . تهابون كل إنسان أمه وأباه ... » ^(١) . إن احترام الأم اعتبره يشوع بن سيراخ وادخار كنز « من احترام أمه فهو كمدخر الكنوز » (سيراخ ٥:٣) .

ومن التقوى خدمة الأم « الذى يتقى الرب ... يُخدم والديه بمنزلة سيدين له » (سيراخ ٨:٣) .. وذلك حتى سن الإحتياج للخدمة « يا إبنى أعن أباك فى شيخوخته ولا تحزنه فى حياته » (سيراخ

١٤:٣) .

(ب) وقد رفع سيدنا هذا التصوير الأخلاقي إلى رتبة الوصية الإلهية ، حينما أفرد في وصاياهِ العشر التي كتبها بأصبعه على لوحى العهد وصية مستقلة خاصة بإكرام الأمومة وهى . « أكرم أباك وأمك لكي تطول أيام حياتك التي يعطيك الرب إلهك »^(٢) .

وجعل لهذة الكرامة مكافأة عنده ولصاحبها « من أكرم أباه (وأمه) سرُّ بأولاده وفي يوم صلاته يستجاب له . من احترم أباه (وأمه) طالت أيامه » (سيراخ ٦:٣ ، ٧) .

وأوضح الكتاب أن الإكرام يكون بالأفعال والأقوال معاً . « أكرم أباك (وأمك) بفعالك ومقالك بكل أناة لكي تحل البركة منه (الرب) وتبقى بركته إلى المنتهى . فإن بركة الأب توطد بيوت البنين » (سيراخ ٩:٣ - ١١) .

واعتبر الكتاب هذا الإكرام براً تؤسس عليه بيوت القديسين « على برك يُبنى لك بيت وتُذكر يوم ضيقك » (سيراخ ١٧:٣)

(ج) وإذا جعل الرب لهذة الوصية الإلهية قوة القانون وضع أحكاماً تنفذ بصرامة على مخالفيها :

● فمثلاً جعل اللعنة عقوبة لمن يستخف بأمه ، أى يستهتر بها أو بكلامها اذ قال : « ملعون من يستخف بأبيه أو بأمه »^(٣) . « من غاظ أمه فهو ملعون من الرب » (سيراخ ١٨:٣) .

هذه لعنة الرب جلت قدرته ، أما لعنة الأم نفسها فإنها تطلع أسس البيوت . قال الكتاب « بركة الأب توطد بيوت البنين ولعنة الأم تطلع أسسها » (سيراخ ٣ : ١١) .

وحتى في سنوات الشيخوخة ، حينما تضعف قوى الأم الصحية والعقلية يوصى الرب باكرامها « لا تحتقر أمك إذا شاخت »^(٤) . قال الكتاب أيضاً : « وإن ضعُف عقله فاعذر ولا تُهنه وأنت في وفور قوتك فإن الرحمة بالوالد لا تُنسى . وباحتمالك هفوات أمك تُجزى خيراً » (سيراخ ٣ : ١٥ ، ١٦) .

● ثم رفع العقوبة إلى حد الاعدام لمن يسب أمه بكلام شتيمة أو بكلام غير صادق ، وأيضاً لمن يخرج عن حياؤه إلى حد التطاول على الأم باليد (أى ضربها) . اذ قال : « من شتم أباه أو أمه يقتل قتلاً »^(٥) .

« كل انسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل . قد سب أباه وأمّه دمه عليه »^(٦) .

« من ضرب أباه أو أمه يقتل قتلاً »^(٧) .

(د) ومهما كان أسلوب الأم في التفكير والتربية غير واضح لدى الأولاد فالله يوصى بعدم إحتقارها .. « لا تحتقر شريعة أمك »^(٨) لأن الله يضع الأمومة فوق الأسلوب .

(هـ) والله في اهتمامه أن ينص في الشريعة على إكرام الأم العاقلة الإنسانية لم ينس الأمومة في الحيوان ، كأب يرعى الخليقة الناطقة وغير الناطقة أيضا .

أنظر ما أكبر هذه الحروف التي نطق بها الله المحب : « إذا اتفق قدامك عش طائر في الطريق في شجرة ما أو على الأرض فيه فراخ أو بيض والأم حاضنة الفراخ أو البيض فلا تأخذ الأم مع الأولاد أطلق الأم ، وخذ لنفسك الأولاد لكي يكون لك خير وتطيل الأيام »^(٩) !!

ما أجمل هذا الإكرام الإلهي وأعظمه ، ذلك الذي تحيط به الشريعة الأمومة في جميع الخلائق ..

[٢] وبلغت كرامة الأم عند الله العلي ، أنه عندما أراد أن يعلن لنا عن ذاته المحبه تبسط في التفكير معنا واستعار صفات الأمومة :

● فالأم مركز للحنان :

الحنان الذي يحتاجه الإنسان على مر الزمان . هذا الحنان نال عظمة من قبل الله نخشع نحن أمامه ، عندما نراه متمثلاً بأوضح معانيه في المرأة الكنعانية التي كانت إبنتها مريضة . إذ سارت وراء ربنا يسوع تلح عليه ، إلى حد أن التلاميذ ضجوا منها وطلبوا صرفها من الرب الذي قال لها : « ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين وي طرح للكلاب ! » . فلم

تغضب هذه الأم ، ولم تتراجع ، ولم تلفظ بكلمة عتاب واحدة .. بل ارتضت بعاطفة الخنان الذى فيها أن تكون ضمن الكلاب لتحصل على الشفاء لابنتها .. إذ أجابت الرب للتو : « نعم ياسيدى ، والكلاب أيضا تحت المائدة تأكل من الفتات الساقط من مائدة أربابها » !!!

إنها أم تتوجع لمرض ابنتها ، وحنوها الحقيقى جعلها تضع نفسها فى درجة الكلاب بدون احساس منها أنها قد أهينت . هذه العاطفة الحية ، وهذا الإيمان القويم جعل الرب يمدحها « عظيم إيمانك ... ليكن لك كما تريدان »^(١٠) .

وإذ أراد الرب أن يعرفنا حنوه . استعار الحنو الذى يظهر فى الدجاجة الأم وهى تجمع فراخها تحت جناحها تمنحهم دفئاً ورعاية . ومع أن الله تعالى ارتضى أن يظهر بالجسد ويحتمل أوجاع الناسوت صائراً فى شبه الناس ، محتقراً مكروباً مذلاً بينهم لأجل خلاصهم ... لم يجد من البشر استجابة تجاهه حنانه ، ولا ترحيباً إزاء عطفه ، فحزن وقال : « كم مرة أردت أن أجمع أولادك (يابأورشليم) كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا »^(١١) !

● والأم مصدر للتعزية :

فهى التى تؤازر بنينا فى مواقف الجهاد والكفاح التى تتطلبها ظروف الحياة المتباينة . محتملة فى ذلك مشاق جسدية ونفسية بالغة الصعوبة .

تكفيننا الأم دولاجي مثلاً حياً لما تقوم الأم به في عزاء وتثبيت ايمان
بنبيها ، عندما علمت أن أولادها قد أمسكوا أمام الوالى لكى يحاول فيهم
أن يسجدوا للأصنام ... وحالما بلغها النبأ خرجت مسرعة لتوها حيث
كان أولادها وقوف بين يدى الوالى . فصاحت فيه : « أنا وأولادى
لربنا يسوع المسيح » ... وعندما هدها الوالى بدأت تقوم بدورها كأُم
مشجعة ومعزية لبنيتها حتى عندما دجوههم واحداً واحداً على ركبتها ...
ولما أطمانت على أكاليهم ، أحنت رأسها للسيف ونالت هى أيضاً
أكليلاً لا يفنى !!

لقد استعار الرب هذا الدور المعزى الذى تقوم به الأم ليقرب إلى
أذهاننا عمل روحه القدوس « المعزى » فينا . حتى قال « وكنسان
تعزیه أمه هكذا أعزیکم أنا ... »^(١٢)

● والأم بالطبع تهتم بالتغذية :

من الرضاعة حتى الكهولة تكون التغذية المهمة الأولى التى تحس
بها الأم كمسئولية وحب تجاه أولادها ...

لقد رأينا امهات يقدمن لبنينهم من عصارة حياتهم لبناً فى صغرهم
وطعاما يناسب أعمارهم حتى عندما أصبحوا أزواج كبار أنجبوا بنيناً
أيضاً .. وان تصادف وصنعت الأم طعاماً فى غياب أولادها ، فهى تُبقى
منه جزء لهم ان لم يكن كله ... فكيف يطبق قلبها أن تأكل طعاماً
لا يتذوقه بنيتها !!!

والله خالق الكل الذى « يفتح يديه ويشبع كل حى من رضاه »^(١٣)
عندما أراد تلاميذه أن يصرفوا الجموع بعد العظة لم يشأ ربنا مغذى
خليقته أن يصرفهم صائمين « لئلا يخجروا فى الطريق »^(١٤) .

ومنطلقاً من اهتمامه بغذاءهم صنع معجزة إشباع الخمسة الآف
رجل .

الله إلهنا المحب « يعطى لفراخ الغربان طعاماً »^(١٥) . « ويقود
المرضعات »^(١٦) نحو طعامها ، ويرتب « خبز يسند قلب
الإنسان »^(١٧) ، وهو الذى يهتم بكل ذى جسد ليعطيها طعامها فى
الحين الحسن^(١٨) !

وإن كانت الأم تقدم لبنها طعاماً جسدياً ، فلم توجد أم فعلت مثلما
فعل ربنا إذ قدم لنا حتى جسده المقدس لناكل ودمه الثمين لنشرب !

من أجل هذا قال الرب « إعملوا لا للطعام الذى يفنى بل للطعام
الباقى للحياة الأبدية »^(١٩) ، « من يأكل جسدى ويشرب دمي فله
حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير »^(٢٠) !

● وان كانت التغذية هى احدى اهتمامات الأم الجسدية فالسعى
وراء حصول بنينا على مراكز عالية ورتب رفيعة فى مجالات الحياة
المتنوعة يكون الجزء الأكبر من اهتمامات الأم الروحية : لقد أعطت أم
يوحنا الحبيب وأخيه يعقوب بن زبدي مثلاً واضحاً لذلك عندما سألت
الرب أن يكون لإبنها نصيباً عن يمينه وعن يساره فى مجده^(٢١) .

والرب إلهنا في رعايته الحانية بأولاده يطمئنا على طعامنا الجسدى
ويدفعنا بالطموح للجهد نحو طعام أفضل ومراكز أفضل ليس في الحياة
الأرضية التي نعيشها فحسب بل وفي الأبدية الهنية أيضا ... « أطلبوا
أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها (يقصد خيرات العالم ومراكزه)
تزداد لكم » (٢٢)

● والأم لا تصل إلى الأمومة بدون آلام وأوجاع كثيرة ؛

تبدأ من أتعاب الحمل لتنتهى بأوجاع الولادة ... في هذا الصدد
يستعير الرب آلام الأم وأوجاعها ليشبه عروسته الكنيسة المقدسة وهي
تممخض بأولادها متوجعة في العالم حتى تلدهم من رحم معمودية الماء
والروح بنينا لا يولدوا « من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة
رجل بل من الله » (٢٣) يولدوا !

« المرأة وهي تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت ، ولكن متى ولدت
الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح لأنه قد وُلد انسان في العالم .
فأنتم كذلك عندكم الآن حزن ، ولكنى سأراكم أيضا فستفرح قلوبكم
ولا ينزع أحد فرحكم منكم » (٢٤)

تذكر أباك وأمك

إذا جلست بين العطاء

(سيرايخ ٢٣: ١٨)



عندما تجسد ربنا من الأم الفداء

[٣] ولم يكتف ربنا أن ينص في الشريعة على مركز الأم الموقر ؛
ولا أن يحدثنا عن ذاته من خلال صفات الأمومة ...

لكنه أراد أن يعطي الأمومة شرفاً كاملاً ؛ إذ ارتضى أن يسكن بطن
الأم الباقية عذراء القديسة مريم الطاهرة تسعة أشهر كاملة ليولد متجسداً
من بطنها فيدعى عليها اسم (أم يسوع)^(٢٥) .

لقد استسلم الرب ليدي أمه وهي تقمطه وتلفه وتضجعه في المذود
تعبيراً عن قبوله لمشاعر الأمومة التي يقدها .

لقد أثار منظر الرب وهي بين أمه في قلب القديس كيرلس الأول
عامود الدين أفكار دهش وتأمل صرخ معبراً عنها قائلاً : « المذود حملك
كمسكين . الخرق لفتك ، والأذرع حملتك ، وركب البتول
عظمتك ، الفم قبلك ، واللبن قوتك : أنت القاتت كافة الخليقة من
نعمتك »^(٢٦) !

وحينما صار ربنا في الجسد أعطى لكل وصاياه قوة أعظم اذ وضع

وصية « اكرم أباك وأمك ، موضع التنفيذ العملي أمام خليقته في اكرامه
لأمه القديسة مريم العذراء :

● لقد كان يليى رغباتها عن طاعة صادقة ... ففي عرس قانا
الجليل^(٢٧) حالما شرحت له حقيقة فراغ خمر أهل العرس وحرجهم
الشديد لذلك ... قام ربنا يصنع أول معجزة في بدء كرازته على الأرض
لتحويل الماء إلى خمر حقيقى بسلطان لاهوته ... لكى يجعل حتى
للأمومة المركز الأول في معجزاته .

● وفي أشد أوقات آلامه على الصليب ، لم ينس إكرام أمه في
واجب الاعالة الموضوع على الأبناء واجب مقدس تجاه والديهم ، اذ
دير أعالتها جسديا حينما قال ليوحنا « هوذا أمك » ، « ومن تلك الساعة
أخذها يوحنا إلى خاصته »^(٢٨) مهتماً بها حتى صعود جسدها
للسماء .

● وان كان في صعود الرب للسماء أحاطت به ملائكة ، ففي
صعود جسد أمه للسماء أتى هو بنفسه مع ملائكته ليستقبل أمه
للسماء !



مركز الأمام في الكنيسة

[٤] كان للأمم شرف استضافة أول كنيسة مسيحية في العالم إذ كانت السيدة مريم أم مار مرقس — رسول مصر وأفريقيا — تفتح بيتها على مصراعيه نهاراً وليلاً أمام الآباء الرسل لتجعل منه مكان لقاء بينهم يصلون فيه بنفس واحدة ويكسرون الخبز سوياً ويدبرون احتياجات الكنيسة والقديسين .

لقد استطاعت الأم أن تُضفي من أمومتها الكثير على الآباء الرسل والأساقفة في العصر الرسولي ، مما جعل مار بطرس الرسول يقرع على باب بيتها ليلاً حال خروجه من السجن بينما كان بقية الرسل يصلون داخل البيت نفسه ..

ولم تكن الأمم شيئاً جديداً على مريم أم مرقس وهي تصنع ذلك ، فقبلاً كانت تفتح بيتها أمام ربنا يسوع الذي أسس سر الشكر داخل بيتها ، كما كان الحلول الأول المجيد للروح القدس على الكنيسة داخل علبتها ...

وما صنعته مريم أم مرقس مع الآباء الرسل ، صنعته الأم بريسيكلا

مع زوجها النقي أكيلاً في كورنثوس مع مار بولس الرسول حتى أن
بيتها تحول إلى كنيسة تستحق السلام الرسولي : « سلموا على بريسيكلا
وأكيلا العاملين معي في المسيح يسوع ... وعلى الكنيسة التي في
بيتهما » (٢٩)

لا شك فإن الأم في العصر الرسولي أعطت من أمومتها الصادقة حنواً
ورعاية وبذلاً صادقاً من أجل الآباء الرسل والقديسين ... مما جعل مار
بولس الرسول يتخذ من أم روفس تلميذه أما له ويقول :
« سلموا على روفس المختار في الرب وعلى أمه أمي » .. (٣٠) !



الأمومة روح لا تنحصر في الجسد

[٥] والأمومة التي فتحت بيوتها أمام الكنيسة وخدامها في العصر الرسولي مازالت حية في الكنيسة وستظل أيضاً هكذا ... فالأمومة روح لا ينطفئ بريقها عندما تنتهي حياة الأم جسدياً ، ولكنها تتسامى فوق هذا السجن الصلصالي الذي تسكنه مؤقتاً لتظل رسالة نافذة حتى في عالم الخلود يسرى أثرها بكل قوة في الخليقة كلها ...

يكفيننا أن نرسل نداءً لأمنا مريم العذراء وهي قائمة في المجد عن يمين إبنا في رجاء كأبناء لنرى معونتها الصادقة لنا ولكل طالبيها حتى نلمسه حباً حقيقياً يشجع ويدفع مهما قابلنا من صعاب في جهادنا على الأرض .

وسنظل مديونين طيلة حياتنا لروح الأمومة الحانية التي تحيطنا به أمنا مريم العذراء ، وسائر أمهاتنا التقيات الخالدات في سماء المجد .

واني مازلت أذكر — في القرن العشرين روح أم تقية استراحت ودخلت الأجداد السماوية وهي تفتح دارها لتستضيف أساقفة وكهنة ورهبان وتقيم لهم الولائم ، وتقف بنفسها وأولادها المباركين يخدمونهم

وترتب لهم سُبل اللقاء المريح ليديروا من داخل بيتها أمور الخدمة
ويتناقشون في احتياجاتها ...

ان هذه الروح الخالدة تستحق الآن السلام !

وفي رهبة الأبناء المحيين نتعانق الآن مع أرواح أمهاتنا الخالدات
نحيبهم ، ونكرمهم ، ونطلب صلاتهم عَنَّا وهم في حالة أسمى مِنَّا « أفضل
جداً » ...



الأمومة عاطفة لا يليغها العقر

[٦] والأمومة كما أشرت سابقاً لا ترتبط كثيراً بولادة البنين ، لأن عاقرات كثيرات في نظر الناس صرن أمهات لجموع كثيرة على مر الأجيال .

فان كان العقر يجرم الأم من أمومة الجسد فهو لا يمكن أن يجرمها من الأمومة كعاطفة روحية معطاة لها من قبل الله تسبغها على كل من تلتقى بهم .

فمثلا الأخت التي تقبل طقس الرهبانية وهي عذراء ندعوها « أمنا » بالرغم أنها لم تلد أحدا جسدياً ... إحساساً منا بروحانية أمومتها التي لا يمكن أن تنفى بسبب عدم الإنجاب .

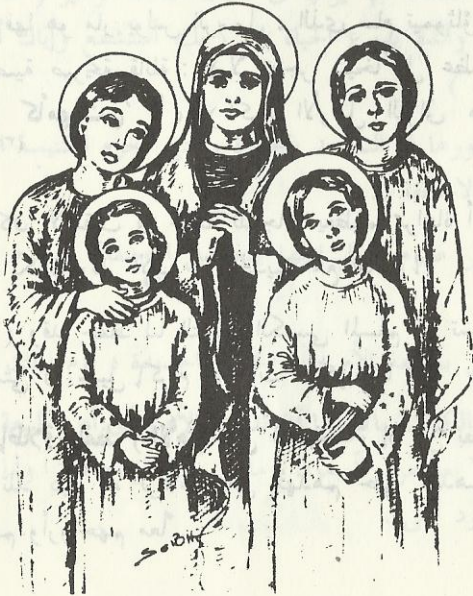
أمثال هؤلاء تسمعهن يرددن : « من ولد لي هؤلاء وأنا ثكلى وعاقر منفية ومطرودة ... وهؤلاء من رباهم . ها أنذا متروكة وحدى هؤلاء أين كانوا ؟ ! »^(٣١)

وكأنما صوت الرب يحيمهم ويناديهم : « افرحى أيتها العاقر التي لم تلد ... اهتفى واصرخى أيتها التي لم تتمخض ، فإن أولاد الموحشة أكثر من التي لها زوج »^(٣٢) !

يا أمي :

ان كان الرب لم يعطك نسلأ بالجسد ، فقد أعفأك من مشاق تربية
الجسد — بالرغم أنني أعرف أنها لا تمثل مشقة أمام أمومتك . ولكنه
فضل أن يدعوك إلى أمومة روحية : تعطيها كاملة لمن يحتاجها ففي
عطاءك مشاعر الأمومة لمن يحتاجها تحفظين لنفسك كرامة الأم أمام الله
والناس .

الإف دولجى



لمحة من التعليم الرسولي بكرامة الأم

[٧] والكنيسة التي عرفت الأم خلال حبها وتضحياتها من أجل مجد الرب لم تنس أن تضع تعليماً رسولياً تجاه الأمهات .

(١) فيها هو مار بولس الرسول ، الذي سام تيموثاؤس الأسقف يعطيه وصية صريحة قائلة : (لا تزجر شيخاً بل عظه كأب ... والعجائز كأمهات)^(٣٣) ، (أكرم الأرامل اللواتي هن بالحقيقة أرامل)^(٣٤) .

فان كان الأسقف في عظته للعجائز يعظهم بمراعاة أمومتهم فكم ينبغي أن يكون وقار الإبن في الحديث مع أمه ؟ !

(ب) وقد حفظ لنا التقليد الكنسي المسلم لنا تسليماً رسولياً مظاهر شتى في سبيل إكرام الأمهات نذكر منها :

● إطلاق لفظ (الأم) على الكنيسة ، إذ من بطن المعمودية المقدسة تلد بنيناً لله ترعاهم من مهدهم حتى لحدهم وهي تهتم بأجسادهم وأرواحهم معاً .

● تكريم الأم القديسة مريم العذراء في بيعة الله ، مثل :

+ بوضع أيقونتها عن يمين باب الهيكل .
+ وضع مقدمة تسبق قانون الايمان فيها تعظيم الكنيسة للأم الباقية العذراء . وقد وضع هذه المقدمة آباء مجمع أفسس سنة ٤٣١ م برئاسة البابا كيرلس الأول عامود الدين .

+ تسيح الله يومياً في أمه العذراء بما يسمى بالثاؤطوكيات ولكل يوم ثاؤطوكية خاصة بتمجيد أمومة العذراء للرب يسوع .

+ وضع الشفاعة بها يومياً في قانون صلاة المزامير (كأُم قادرة رحيمة معينة والدة ينبوع الحياة) ؛ (بك أستشفع وإياك أدعو أن تساعديني ...)

+ تمثيل دورها في التجسد بالجمرة ، التي تُحرم الكنيسة استعمالها إلا للكهننة والاساقفة ...

+ تخصيص صوم يحمل إسمها يقع قبل الإحتفال بصعود جسدها للسماء .

هكذا يليق بكرامة الأم ؛ أم الخليقة الجديدة ؛ فأُم الملك ملكة !

● تأبى الكنيسة بأمومتها أن تدخل الأم (أى أم) البيعة المقدسة بعد الولادة إلا بعد مرور أربعون يوماً في حالة المولود ذكراً وثمانين يوماً في حالة المولود أنثى .

ذلك ليس بسبب النجاسة ، ففي المسيحية لا ينجس الانسان غير الخطية . لكن لكي تكون أمام الأم راحة نفسية كاملة وهي تمنع عن ممارسة الأسرار الإلهية بهدف الإهتمام بصحتها جسدياً حتى تتقوى وتشد عظامها بعد تفككها فتستطيع أن تقوم بواجبها تجاه الكنيسة وأولادها خير قيام .

وإن كانت فترة منع الأم من دخول البيعة تتضاعف في حالة المولود أنثى ؛ فذلك حب ورعاية أفضل من الأم الكنيسة للمولودة الصغيرة ؛ فالمعروف طيباً أن بناء الأنثى الجسدى أضعف من بناء الذكر . ومن أجل هذا الإناء الأضعف ورعايته في الشهور الأولى تتضاعف فترة منع الأم من دخول البيعة .



الأم مدرسة تصنع ملائكة

الأم في إمكانها أن تصنع من أولادها (جسدين أو روحين) كما تشاء ...

[٨] فمرحلة الطفولة : تمثل بالنسبة للأم عجيبةً لناً تستطيع أن تصوغه جيداً وفق ما ترى لتقدم للكنيسة وللوطن رجالاً صالحين وأمهات تقيات ... لأن الطفل في كل مرة يرضع ثدى أمه يستطيع أن يرضع أيضاً تقواها وإيمانها وقداستها .

فكيف يمكن أن نفسر ما ظهر في موسى النبي من غيرة وهو رجل يتعدى الثلاثين من عمره قضاها في بيت ابن إبنة فرعون الوثني بكل ما فيه من طقوس وتعاليم وثنية لم تؤثر في سلوكه عن الحب لدينه وجنسه ما حدا به إلى قتل خصمه ؟ !!

متى تعلم موسى ذلك الولاء لله ، وممن تعلم ؟! أليس من أمه التي لا يذكر الكتاب المقدس أنها علمته حرفاً ولكن كل ما ذكر عنها « أَرْضَعْتَهُ » (٣٥) !!!

هذا أيضا يؤكد مار بولس الرسول عندما أراد أن يمتدح تلميذه
تيموثيوس فقال : « أنى أمتلىء فرحا إذ أذكر الإيمان العديم الرياء
الذى فىك الذى سكن أولا فى جدتك لوتيس وأمك أفنيكى ^(٣٦) .

ويفسر مار بولس أيضا نوع الإيمان الذى يقصد أنه سكن فيه
بواسطة أمه وجدته فيقول : « وأنت منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة
القادرة أن تحمك للخلاص » ^(٣٧) .

لقد ظهر هذا الإيمان حياً بأحلى معانيه فى الأم ساره الأنطاكية زوجة
أحد ضباط دقلديانوس . التى أعطاهها الرب ولدين ، فوجدت أنها لا بد
أن تلدهم لله فى المعمودية المقدسة . ولقسوة زوجها ودقلديانوس قررت
السفر بسلامتها للأسكندرية لتعمدهما هناك حيث استحال عمادهما
بأنطاكية .

وقد كان اهتمام هذه الأم بعماد أولادها سبباً فى ظهور مبدأ المعمودية
بالدم ... إذ هاج البحر وكادت السفينة تغرق ولخوف الأم التقية أن
يموت غلامها بدون معمودية صلّت وهى فى عرض البحر صلاة طويلة
ثم شرطت ثديها اليمين وأخذت من الدم وصلبت على جبينى ولديها
وقلبهما ثم غطستهما فى البحر ثلاث مرات بإسم الثالوث المقدس !!

لقد كان خوفها على أولادها أن يموتوا بغير عماد نابع من إيمان حى
أخرج للكنيسة ثمر حى شهى ...

ومع أنها سلمت ولديها للبابا بطرس خاتم الشهداء بالاسكندرية

(بعد وصولهما إليها) ليعمدهما ... الا أن الرب مجد ذاته في إيمان الأم
التقية وحمد ماء المعمودية ... فبارك البابا إيمان هذه الأم وبنيتها !

ولقد كلفها هذا الايمان بأهمية المعمودية لأطفالها حياتها اذ حالما
رجعت إلى انطاكية وعرف زوجها بالنبا أخذها ووضع على بطنها ولديها
ثم أحرقهم بالنار ^(٣٨) !!

لقد استهانت بقيمة الحياة عندما اطمأنت أن ولديها قد ولدوا للحياة
الأبدية ، ولم يعد للموت سلطانا عليهم !!

† † †

يا أمي :

+ لا تحتقري الطفل الذي بين يديك صغيراً ... بل أشبعه بالإيمان
والتقوى ، فيصير في كبره قوة وحفظاً له ولك

+ مع كل رضاعة رددى ألحان الكنيسة الشجية فترن في آذانه ،
ويعتاد على سماعها من صغره .

+ مع كل رضاعة ضعيه على ركبتيك ، واجثي أمام الله معه تسلمينه
طقس الصلاة روحياً ...

+ مع كل رضاعة جاهدي أن ترددى بضع آيات من الكتاب المقدس
لتنطبع في قلبه خلال أذنيه ... ولا تثقبي آذانه من صغره بأنغام العالم

ومادته الغنية بالفساد فلا يعود في كبره يسمع صوت الرب إذا ناداه
سراً ...

+ وفي مراحل الطفولة المبكرة ، وقبل دخول المدرسة حاولى يا أمى
أن تأخذه معك إلى الكنيسة ليتابع حلقات البخور وأنغام الصلوات
وملابس الكهنة والشمامسة وكل نظم العبادة المختلفة ... واقراى له من
القصص الروحية ما يشبع خياله الخصب لكى تضعى بين يديه عمد
شخصيته المستقبلية .

[٩] ومرحلة الصبا : تمثل بالنسبة للأم أخرج الفترات وأكثرها
حساسية فى تربية الفتى والفتاة ، إذ تُظهر انفعالاتهم بما يدور حولهم
بشدة فى محاولة للإستطلاع وتحديد الإتجاهات ...

وبقدر تنوع انفعالاتهم (التى قد تصل إلى حد طرفى النقيض فى
الموضوع الواحد) وشدتها ينبغى أن تكون وسائل الأم متنوعة وحازمة
فى الوقت نفسه لمراقبة أولادها خاصة فيما يختص بسلوكهم روحياً
وعلمياً ، وبأصدقائهم أيضاً لتوجيههم نحو أكثرهم مناسبة .

وهذا الدور لا تستطيع الأم أن تقوم به بدون مصادقة بنيتها صداقة
تقوم على أساس الحب والاحترام مع الصراحة المطلقة المقترنة بالتصرف
الحكيم . وفوق كل هذا فإن الجهاد الروحى للأم عن بنيتها فى هذا
المنعطف من عمرهم يبقى العمل الأول الذى ينبغى أن تقوم به بكل
مشاركة ...

فالجهد الروحي للأُم في هذه المرحلة يستطيع أن يصنع المعجزات مع أولادها ، حتى وان ظهر انحراف في سلوكهم .

لقد عاشت الأُم مونيكا أشدَّ الآلام وأمَّرها اذ أتاحت لفتاها اغسطينوس كل سبل الرعاية المادية والعلمية ولم تبخل عليه بشيء ما ومع ذلك فقد انحرف وهو في السابعة عشر من عمره إنحرافاً جعله يتخذ زوجة غير شرعية وينجب منها « اديوداتس » .

لقد كان قلب مونيكا ينزف دماً ، لأنها لم تجده إبناً لله . وكان كل ما بيدها أن تمسك بالله في جهاد روحي قوى ...

ومن حنانها الروحي تحولت غيبتها إلى ينبوع فجر سيل دمع منهمر أمام الله ، وفاقت في بكائها بكاء الأمهات أمام جثث أولادهن المائة !

حتى أن دموعها — من كثرتها — صارت مرئية في الكنيسة من الأسقف امبرسيوس أسقف ميلان ، وعندما سألها وعرف السبب قال لها بإيمان رآه حياً فيها : « ثقي ياإبنة . إن ابن هذه الدموع لن يهلك » !

ولم يهلك اغسطينوس في صباه فعلاً ، لأن وراءه كانت أم تقية جاهدت عنه حسناً أمام الله والناس ! وصار عاموداً في كنيسة الله على إيمانه وكتاباتة كان خلاص أنفس كثيرة .

واغسطينوس بعد أن صار أسقفاً لم ينسى دموع أمه أمام الله فكتب يناجي الرب : « خادمك — عبدتك مونيكا — التي همتني في الجسد

لأولد للنور الزمنى ، حملتى أيضا فى القلب لأولد للنور الأبدى ! أمى
التي أنا أو من أن كل ما يفيض فى من حياة يرجع إليها . إلى الدموع
الأمنية ؛ إلى الدموع الدائمة ؛ إلى دموع أمى وهبت حتى لا
أهلك ! ^(٣٩)

ومازلت أذكر صوت أم تقية يرن فى أذنى وهى تصلى فى دموع
لأجل إنها الفتى الذى رأت فيه سلوكاً غير طاهر لتقول : « لقد
أعطيتنى يارب إبناً بالجسد ، وأنا لست أريده إبناً بالجسد فقط بل إبناً
بالروح أيضاً . إن لم يعيش لك بالروح خذه فأنا لا أريده إلا إبناً
لك ! » . ورأيت بعينى ثمرة جهاد هذه الأم التقية : إبناً خادماً مكرساً
للمسيح .

† † †

يا أمى :

+ الفتى فى صباه يحتاج أن تهتمى بملاحظة سلوكه . وبصداقتك
له وبأمومتك الحانية الحازمة تستطيعين أن توجهيه (دون أن يشعر أن
هناك رئيساً يوجهه) نحو الأصوب خاصة فيما يتعلق بحياته الدراسية
والروحية .

+ اهتمى بصداقاته . وتعرفى عليها فى محاولة أن تعرفى الجيد من
الردىء ، وبالتالى توجهيه إبنك إليه .

+ شجعى إبنك وإبنتك على الممارسات الكنسية لوسائط النعمة

المختلفة ، خاصة فيما يتعلق بارتباطه بأب اعتراف يعاونك في حبه وتوجيهه ، كذلك اربطى بين مواظبته على مدارس التربية الكنسية والحوافز المشجعة التي تقدمينها إليه في صورة هدايا . فإرتباط الفتى في صغره ببركات وسائط النعمة تربي فيه رجلاً صالحاً ذو مواهب نافعة تخدم الله والوطن .

+ وفوق هذا كله اسنديه بصلواتك الحارة عنه خاصة فيما يبدو غير مستطاع لديك لتقويمه . وارفعى القربان عنه على مذبح الله ، والله يعينك لإحتمال مشاق هذه المرحلة بصبر وسعة صدر ...

[١٠] وفي مرحلة الشباب والرجولة : لا تغلق مدرسة الأم أبوابها فان كانت هذه المرحلة تتيح للأم قدرا يسيرا من الراحة تجاه المسؤوليات الجسدية لأولادها ، لكنها تظل أكثر المراحل إحتياجا إلى نصيحة الأم الصادقة الواعية ...

فالأم التي تظن أن مسؤوليتها نحو بنيتها قد انتهت بانتهاء مسؤوليات الدراسة أو الزواج تكون قد أخفقت في التفكير ... لأن الأمومة مدرسة لا تغلق أبوابها على الأرض مادام الجسد حيا . والذي يحدث هو تغير منهج الأم في تربية أولادها ... فهي في هذه المرحلة تشاركهم مسؤوليات الحياة تفكيراً وجهاداً وتقدم لهم دفعات من الحب الذي يشجعهم فوق ما يعترضهم من صعاب ... وهى في هذا لا تفتتر مطلقا عن توجيه نظر بنيتها وأولادهم — ان وجدوا — نحو معرفة الله ومحافته بغض النظر عن مراكزهم أو كرامتهم .

لقد ضربت القديسة هيلانة أم الامبراطور قسطنطين البار مثلاً صادقاً للأم التي تجذب انتباه أولادها — مهما كانت مراكزهم — نحو الله ... اذ أخبرت ابنها عن رغبتها في اكتشاف صليب السيد المسيح وزيارة أورشليم ؛ ففرح ابنها التقيُّ بهذه الرغبة وتقدّم لأمه بأموال كثيرة ، وجنود تكفي لحراستها في رحلتها (٤٠) .

والفضل في اكتشاف صليب ربنا يسوع وبناء هياكل كنيسة القيامة بالقدس يرجع إلى أمومة هذه الأم التقية التي نجحت في جذب اهتمام ابنها نحو بناء بيت الرب .

أما أم البابا مقاريوس الاسكندري (٢٧ مارس ٩٣٢ م — ٢٠ مايو ٩٥٢ م) فقد ضربت أروع الأمثلة في الحنان الروحي للأم ومداومتها على تعليم ابنها مهما نال من كرامة .

لقد ظن الأب البطريك أن بلوغه هذا المركز الروحي السامي يعفيه كإبن من تعليم أمه وتوجيهها . حتى أنه لما ذهب لزيارتها في قريتها بطريق الاسكندرية لم تخرج اليه ، وعندما دخل البيت كانت تشتغل بالغزل وهي جالسة ؛ فلم تلتفت إليه ولا سلمت عليه !!!

وظن الأب البطريك أن أمه لم تعرفه ، ولم تكن هي أيضا تقصد عدم اكرام رئاسة كهنوته ... لكنها تعمدت ألا تعرف ابنها — ولو كان بطريكاً — في هذه المعرفة الخاطئة التي أتى بها اليها .

واذ قال لها : « الا تعلمين أني أنا مقاريوس إبنك الذي رقي إلى رتبة

سامية وصار سيداً لأمة كبيرة؟! « انفجرت عيني الأم العظيمة
بدموع صارت نهراً ينغمر أمامه وصاحت فيه : « أنا عارفة بما نلت
من كرامة كهنوتية لها في قلبي كل احترامها وتوقيرها ... ولكنني كنت
أود يا إبنى أن يؤتى بك إلى محمولاً على نعش خير» من أن أسمع عنك
أو أراك جالساً على كرسي البطريك !! »

ولم تكن الأم في ذلك حزينه بسبب تكريس ابنها ، ولم تقصد أن
تعبر عن استيائها تجاه ما قد بلغ ... لأنها قبلاً قدمته للرهينة نذراً كأم
تقية حنانها روحي وليس جسدي فقط .

لكنها أرادت أن تقوم بدور الأم في التعليم لابنها البطريك فعادت
وأوضحت ما سبقت وعبرت عنه قائلة : « ألا تعلم يا إبنى أنك قبلاً
كنت مطالباً بنفسك وحدها ؟ ، أما الآن فقد صرت مطالباً بأنفس
رعيتك . وثق أنك في خطر لا تنجو منه الا اذا جاهدت
حسناً » .^(٤١)

وحالما أكملت هذا التعليم الروحي العميق لابنها الرجل والبطريك
تركته لشأنه ، وظلت تعمل في مغزها !!

وقد خرج البابا مقاريوس من حجال أمه وكلماتها ترن في أذنيه
وقلبه ، وتصير جمر نار متقد تحت رأسه دوماً خلال مدة رئاسته
الكهنوتية . لتحفظه في جهاد غير متكامل عن نفسه ورعيته .

† † †

يا أمي :

+ أولادك في مرحلة النضج يحتاجون إلى تعليم دائم ورعاية دقيقة . لا تهاي أحدهم بسبب مركز وصل الية ، أو كرامة نالها ..

● أن أمومتك تظل فوق كل مركز وكرامة :

+ جَمِّعي بنيك حولك دائما في نضجهم ، وعاملهم معاملة واحدة في كل شيء لئلا يدخل العدو بالحسد والغيرة بينهم .

+ إن كانت هذه المرحلة تقتضى عدم تدخلك كثيرا في أمورهم الخاصة لكنك تستطيعين أن ترفعي التعليم إلى صفة العمومية ؛ ليسمو فوق تدبير شئونهم وفق ما تمليه عليهم شخصياتهم .

+ صلِّ دوماً لأجلهم ، وقدمي القرابين عنهم ، وقديسى الله في عيونهم .



وقد تصبح الأم مدرسة تصنع شياطين

إن كانت الأم قادرة بأوموتها أن تصنع من أولادها ملائكة فقد تستطيع أيضا بجهالتها وعدم حكمتها أن تصيرهم شياطين لجهنم !

إن أى أم تحمل الأمومة رسالة بين جنياتها لا تود مطلقاً أن يصير أولادها شياطين ، ولكن إن أهملت الأم في أوموتها وانخرقت عن توجيههم توجيهاً سليماً فإنها تجنى شوكاً وحسكاً فشلاً وهزأً لها ولبنيتها ، فيصير وقود حزن دائم لها .

[١١] فالأم التى تشجع بنيتها على العثرات تخرج من نطاق إكرام الأمومة ..

مثال ذلك هيروديا : تلك الأم التى استغلبت أوموتها فى تلقين ابنتها أن تطلب رأس يوحنا المعمدان نبي الله على طبق عندما يسأها الملك هيرودس ماذا تطلب ؟ ... لقد أباحت كأم لابنتها أن ترقص بخلاعة أمام أبيها لترضيه ، ثم أباحت لنفسها أن تلقن ابنتها جريمة القتل لبرىء وبخ شرها وزناها (٤٢) !

على مثال هيروديا تكون الأم التي تشجع أولادها الشباب على مصادقة الفتيات بحجة « الدرحة » ، وربما تشرح لهم وسائل اغرائهم واسقاطهم ... أو الأم التي تعرف انحرافات أولادها دون أن تسعى لتقويمها تحت ستار « الحرية » الكاذبة ! !

أو الأم التي تطالب ابنتها التقية أن تزين زينة معثرة للغير ، أو ترتدى ملابس غير محتشمة تفسد عفة الجسد أو ما يسمى « على الموضة ! » ...

أمثال هؤلاء الأمهات يشبهن « بابل أم الزواني » (٤٣) ... فهل يتوقعن أن يكون كلامهن مطاع وله هيئته كما يليق بالأمومة ؟ !

ومهما كان تفسير هؤلاء الامهات في اصدار مثل هذه الوصايا فسيحصدون في النهاية شراً لا يطاق وإنما يظل ثقلًا على ضميرهن العمر كله ...

[١٢] والأمومة غير العادلة بين الأبناء تبذر بينهم بذار الشقاق والنفور والغيرة الردية وكل حسد شرير من شأنه أن يقوض محبة الأبناء بعضهم لبعض .

مثال ذلك رفقة أم يعقوب وعيسو التي أعطت يعقوب من أمومتها أكثر مما أعطت عيسو ، ومهما كان أسلوب يعقوب في تفاهمه مع أمه يتفوق على أسلوب عيسو ، لكن نهاية الأمومة غير العادلة أن حَقِدَ

عيسو على يعقوب من أجل البركة التي باركه بها أبوه وقال عيسو في قلبه « قربت أيام مناحة أبى فأقتل يعقوب أخى ! » (٤٤)

وعوض أن تصير الأم جامعة ، تصبح حينئذ مفرقة !!

[١٣] والأمومة الحانية حنوا غير روحي تتحول إلى عاطفة ردية تحسب في النهاية على الأم وليس لصالحها .

لأن الأم لم تخلق لتصير أما للجسد فقط ، لكنها أم الإنسان كله (٤٥) ، والإنسان بالطبع ليس جسد فقط بل جسد وروح .

وينبغي ألا يتطرف الحنو الجسدى للأم على حساب حنوها الروحي لأولادها .

مثال ذلك بتشبع أم الملك سليمان ، عندما طلب منها إنبا أدونيا أن يتزوج من أيشح الشونمية التي كانت تعتبر زوجة لأبيه داود (٤٦) أو بمثابة ذلك . فذهبت إلى الملك سليمان لتأذنه في ذلك . ومع أن سليمان قدم لها احترام كبير يليق بالأم : اذ سجد أمامها وأحضر لها كرسيًا لتجلس عن يمينه ، مع أنه قدم لها كل هذا الاحترام إلا إنه رفض طلبها بل وأمر أيضا بقتل أدونيا (٤٧) !

لقد دفعها حنوها غير الروحي ، وهي عارفة أن طلب إنبا يضاد الشريعة ، إلى هذا التصرف الذى قاد إنبا إلى الموت !

وعلى مثال بتشبع تكون الأم التي تمنع أولادها عن الصوم وبقية

الممارسات الكنسية المختلفة بحجة الشفقة عليهم أو على صحتهم .

إن حنوها حنو غير روحى لأنها تعارض وصايا الله الصريحة الذى أمر « أن يطاع أكثر من الناس » ^(٤٨) . والله تعالى عندما أمر حفظ وصاياه أكثر حنوا وشفقة من أمومة مثل هذه الأيام ...

يا أمى :

+ أمهات كثيرات يضعن أولادهن الأتقياء فى صراع بين محبتهم لله المتمثلة فى طاعة وصاياه ، وبين محبتهم لأمهاتهم المتمثلة فى ضرورة طاعتهم واکرامهم . وذلك حينما يصدرن أوامر أو تعليم يتنافى مع كلام الله .

ولا تنسى يا أمى أن الله الذى أمر البنين أن يكرموا الأمومة أوصاهم أيضا « أطيعوا والديكم فى الرب » ^(٤٩) .

يا أمى :

+ منذ اللحظة التى سلمت فيها أولادك للأب الكاهن ليولدوا من الماء والروح فى المعمودية المقدسة قد أصبحوا أولاداً لله . ولتكن أمومتك من تلك اللحظة مثل أمومة موسى تُرضع وتُربى حتى تسلمهم لله أخيراً . مثل هذه الأمومة فى الرب تقدم البنين ملائكة لا شياطين .

† † †

أمومتك يا أمي لم تكن بدون أبرة زوجك

[١٤] تولد الفتاة عذراء وهي حامله بذار الأمومة تجرى في دمائها . وهذا يفسر ما يظهر في سنى طفولتها من محبتها للترين ، وتقليد أمها في رعاية الرضيع ...

وتظل هذه البذار كامنة في قلبها إلى أن ترتبط برجل في سر الزواج المقدس : حينئذ تظهر الأمومة حية بكل ما تحمله من مشاعر صادقة . فالزواج هنا له دور كبير في إنضاج أمومة الأم وقطف ثمارها الشهية في أولادها . ولا نستطيع حينئذ أن نحرمه حقه مما يعطى كرامة للأمومة .

فالأب والأم في سر الزواج صاروا لا اثنين بل واحداً ، وكل ما أنيط بالأمومة من هبة يصبح من حق الأب الزوج أيضاً .

والأم الباقية عذراء القديسة الطاهرة مريم ، مع أنها لم تحبل بشرياً من رجل ، وظلت عذراء قبل الحبل وبعده وبعد الولادة أيضاً ، لم تنس أن تقدر يوسف النجار خطيبها مع أنه لم يكن أب للسيد المسيح ولا زوجاً لها ، لكنه كان من جهة الرعاية والعرف معاً بمنزلة الأب ...

ومع ذلك كانت مريم أم تحمل الأمومة كاملة إذا أعطته وقاراً

يا أمهاتنا

تهنئة قلبية معطرة بأسمى آيات الشكر والعرفان بالجميل في يوم
تكريمكم .

وتحية صادقة وإكرام بنوى نرفعه إلى أرواح أمهاتنا الخالدات في سماء
المجد ، وعلى رأسهم أمنا المحبوبة الرحيمة المعينة والدة الإله مريم العذراء .

ليعطينا الرب بشفاعتها المقبولة عنا ، وبصلواتكم يا أمهاتنا
المجاهدات : رحمة ونعمة ونمواً أمامه وأمام الناس .

وكل عام وأنتم بخير وسلام وبركة ،

قلب الإنسان يخرج بانتظام
قدرٍ مساوٍ لما يصله من الدم
الا قلب الأم فهو القلب
الوحيد الذي يخرج دائماً أكثر
مما يصله من عواطف ومع
ذلك يظل حياً نابضاً بالحب
كل الزمان .

يطلت من :

مكتبة كنيسة السيدة العذراء بالعمرانية

ت : ٨٥٠٣٧٨